



The Implicit Reader Strategy in the Novels of Saad Mohammed Rahim (The Novels "The Murder of the Book Seller" and "The Twilight of the Cranes" as a Model)

Kolsum Bagheri¹ | Naser Zare^{2*} | Muhamadjavad Pourabed³ | Rasoul Balavi⁴ | Ali Khezri⁵

1. Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. E-mail: kbagheri69@gmail.com
 2. Corresponding Author, Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. E-mail: nzare@pgu.ac.ir
 3. Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. E-mail: m.pourabed@pgu.ac.ir
 4. Department of Arabic Language and Literature, shahid chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. E-mail: r.balavi@scu.ac.ir
 5. Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. E-mail: alikhezri84@yahoo.com

ARTICLE INFO

Article type:

Research Article

Article History:

Received: 25 February 2025

Revised: 18 October 2025

Accepted: 01 September 2026

Published Online: 17 September 2026

Keywords:

Novel,
Implicit reader,
Saad Mohammed Rahim,
The Murder of the Book Seller,
The Twilight of the Cranes.

ABSTRACT

In literary analysis, the implicit reader is an integral part of the textual structure. Literary texts anticipate a reader and prepare them for their role, yet this reader is not confined by any external context or specific literary theory. This concept was introduced by the German thinker Wolfgang Iser. Iser moved beyond the established categories of readers in contemporary literary theory and built his reception theory on the concept of the implicit reader as a transcendent model. This model shows how a text produces effects and generates meanings, and how it can be described through its recipients. It assigns the recipient a central role in meaning construction; only when the literary work interacts with the reader does it achieve full embodiment. In this article, we adopted a descriptive-analytical approach, focusing on the strategies of the implicit reader while analyzing two novels by the Iraqi author Saad Mohammed Rahim: *The Murder of the Book Seller* and *The Twilight of the Cranes*. His novels are exceptional in both literary and artistic terms. The study revealed that Saad Mohammed Rahim does not always address the reader directly. His presence is recorded indirectly through second-person pronouns, scenes that challenge the reader's expectations, and numerous extratextual experiences. Rahim uses both silent and vocal signs—pronouns, direct addresses to the reader, character dialogues, marginal notes, and explanations—all of which affirm the presence of the implicit reader in his narratives.

Cite this article: Bagheri, K.; Zare, N.; Pourabed, M.; Balavi, R. & Khezri, A. (2026). The Implicit Reader Strategy in the Novels of Saad Mohammed Rahim (The Novels "The Murder of the Book Seller" and "The Twilight of the Cranes" as a Model). *Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry*. 22 (3), 319-332. <http://doi.org/10.22059/jal-lq.2025.391133.1481>



© Authors retain the copyright and full publishing rights.

Publisher: University of Tehran Press.

DOI: <http://doi.org/10.22059/jal-lq.2025.391133.1481>



جامعة طهران

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٢٠٩٢-٦٤٧٥

ابن المقفع في القص والقصيد

موقع المجلة: <https://jal-lq.ut.ac.ir>

إستراتيجية القارئ الضمني في روايات سعد محمد رحيم (روايتا مقتل بائع الكتب وغسق الكراكي أنموذجا)

كلثوم باقري^١ | ناصر زارع^{٢*} | محمد جواد پورعابد^٣ | رسول بلاوي^٤ | علي خضري^٥

١. قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الخليج الفارسي، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: kbagheri69@gmail.com
٢. الكاتبة المسنول، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الخليج الفارسي، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: nzare@pgu.ac.ir
٣. قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الخليج الفارسي، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: m.pourabed@pgu.ac.ir
٤. قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشهيد تشرمان أهواز، أهواز، إيران. البريد الإلكتروني: r.balavi@scu.ac.ir
٥. قسم اللغة العربية وآدابها، الكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الخليج الفارسي، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: alikhhezri84@yahoo.com

الملخص

اطلاعات مقاله

إن القارئ الضمني جزء لا يتجزأ من البنية النصية ويتمثل في مجموع الشروط والآليات التي يتسلخ بها النص ليصل إلى ذهن المتلقي، يسمح له بتفعيله وبناء المعنى، فالنص الأدبي إذن يتوقع قارئاً فيستعد له، لكنه قارئ غير محدد بأي سياق خارجي أو نظرية ما. طرح هذا النوع من القراء من قبل مفكر ألماني "فولفغانغ إيزر" كاستراتيجية التي تساعد القارئ على فهم النص الأدبي. حاول إيزر أن يتجاوز أصناف القراء التي كانت معروفة في النظرية الأدبية المعاصرة ولهذا قام ببناء نظرية التلقي على أساس مفهوم القارئ الضمني الذي يعد بمثابة نموذج متعال، يبين لنا الكيفية التي يتم بها النص إنتاج أثر ما وتوليد معنى ما، ويقوم على إمكانية وصف أثر النص الأدبي من خلال متلقيها. وهو يمنح المتلقي دوراً بالغ الأهمية في بناء المعنى؛ لأن العمل الأدبي عنده لا يأخذ تجسيده الحقيقي إلا حين يتواصل معه القارئ. اعتمدنا في هذا المقال على المنهج الوصفي - التحليلي من خلال الوقوف على استراتيجيات القارئ الضمني وقمنا بتحليل ودراسة روايتي "مقتل بائع الكتب" و"غسق الكراكي" للكاتب العراقي "سعد محمد رحيم" الذي تميزت رواياته بميزات خاصة وهذا ما جعلها فريدة من نوعها كونها أثراً أدبياً وفنياً. إن هذه الدراسة كشفت لنا بأن سعد محمد رحيم لا يتخاطب القارئ دائماً بشكل مباشر لكن القارئ سجل وجوده بطرق غير مباشرة من خلال ضمير المخاطب والمشاهد التي تنكر أحياناً معتقدات القارئ التي يتوقع حصولها لديه ويشاركه الكثير من التجارب الخارج نصية وسعد محمد رحيم استخدم العلامات الصامتة والناطقة كاستخدام الضمائر، الخطابات الموجهة للقارئ والشخصيات، التهميش والشرح، حضور القارئ الضمني في رواياته وكلها تؤكد علامات حضور القارئ الضمني في النص.

نوع مقاله:
علمي

تاريخ هاي مقاله:

تأريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٢/٢٥
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٥/١٠/١٨
تأريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٩/٠١
تأريخ النشر: ٢٠٢٦/٠٩/١٧

الكلمات الرئيسية:

رواية
القارئ الضمني
سعد محمد رحيم
رواية مقتل بائع الكتب
رواية غسق الكراكي.

العنوان: باقري، كلثوم؛ زارع، ناصر؛ پورعابد، محمد جواد؛ بلاوي، رسول و خضري، علي (٢٠٢٦). إستراتيجية القارئ الضمني في روايات سعد محمد رحيم (روايتا مقتل بائع الكتب وغسق الكراكي أنموذجا). ابن المقفع في القص والقصيد، ٢٢ (٣) ٣١٩-٣٣٢.

<http://doi.org/10.22059/jal-lq.2025.391133.1481>

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

© المؤلفون.

DOI: <http://doi.org/10.22059/jal-lq.2025.391133.1481>



مقدمة

يُعدّ القارئ ركيزة أساسية في الدراسات النقدية المعاصرة باعتباره العنصر الفاعل في العملية الإبداعية حيث لا يمكن فصله عنها، وذلك راجع لتعلقه مع النص الأدبي. يلعب القارئ دوراً هاماً في العملية السردية حيث لا يوجد سرد بدون سارد وبدون مستمع أو قارئ. يعدّ الناقد الألماني "ولفغانغ إيزر" أول من وضع مصطلح القارئ الضمني وحدّد مفهومه في كتابه "فعل القراءة" الذي نشر أول مرة في ألمانيا عام ١٩٧٦م. يتحدث وولفغانغ إيزر عن مصطلح القارئ ويضطر أن ينتقل إلى تعريف طبيعة البنية النصية قائلاً: «كل بنية قابلة للتمييز في التخيل لها هذان الوجهان: الوجه اللفظي والوجه التأثري: يوجّه المظهر الادائي رد الفعل ويمنعه من أن يكون اعتباطياً؛ بينما يكون المظهر التأثري تناولاً تاماً لذلك الشيء الذي بنيته بواسطة لغة النص» (إيزر، ١٩٨٧م: ١٣) ويعيب إيزر على المفاهيم السابقة للقارئ كونها وقعت «في دائرة الوظائف الجزئية فقد طرح مفهومها يتناسب مع توجهات نظراته ويختلف في نفس الوقت عن أصناف القراء» (حسن وشعبان، ٢٠٠٢م: ٥٢) باعتبارها غير قابلة للتطبيق، فرأى أنه من الضروري وضع مفهوم أوسع وأشمل «يمكن أن نسميه نظراً لعدم وجود مصطلح أحسن: القارئ الضمني» (إيزر، ١٩٨٧م: ٣٠) لا شك أن إيزر لم ينطلق في تصوّره للقارئ الضمني من العدم، بل من تصورات سابقة حاول أصحابها البحث عن ماهية القارئ الذي يتوجب على نظرية التلقي التركيز عليه لوصف عمليتي التأثير والتأويل. يعدّ القارئ الضمني «الأداة الإجرائية المناسبة لوصف التفاعل الحاصل بين النص والقارئ لأنه يستطيع أن يبين لنا كيف يرتبط القارئ بعالم النص وكيف يمارس هذا الأخير تعليماته وتوجيهاته وتأثيراته التي تتحكم في بناء القارئ للمعنى النصي إنه مرتبط عضوياً ببنية النص وبيناء معناه» (شرفي، ٢٠٠٧م: ١٨٥) وهو ليس شخصاً خيالياً داخل النص ولكن هو موجود وله دور مكتوب ويستطيع كل قارئ أن يتحمّله بصورة جزئية فإن دور القارئ الضمني يجب أن يكون نقطة ارتكاز لبنيات النص والقارئ الضمني هو حالة نصية وعملية إنتاج لمعنى على حد سواء.

اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي – التحليلي الذي يعتمد على تحليل روايتين (رواية مقتل بائع الكتب، ورواية غسق الكراكي) – سعد محمد رحيم من خلال النظر إلى نظرية فولفغانغ إيزر. اخترنا في دراستنا هذه روايتي «مقتل بائع الكتب» و«غسق الكراكي» من بين رواياته السبعة وذلك لأن سعد محمد يركز على الأحداث التاريخية فيها فضلاً على التطرق للأحداث الاجتماعية ويخلق لنا نصاً روائياً فريداً بواسطة الذوق الأدبي والمخيلة الفنية الغنية. لقد تمكن سعد محمد من خلق مزيج من الأحداث الحقيقية والخيالية، وبهذا ينتج لنا حادثاً عرضياً تتجلى أحداثه ككلم سينمائي أمام المتلقي والقارئ وذلك بأدق التفاصيل وأهمها. ويصور لنا الصورة الحقيقية عن حالة العراق في المنتصف الثاني من القرن الماضي وبالتركيز على القضايا الاجتماعية والأدبية لهذا البلد. لذلك نظراً لفحوى ونص الروايتين يمكن تصنيفها ضمن الروايات الحربية. طبعاً دراسة الروايتين من منظور القارئ الضمني مأخوذ من نظرية التلقي يفتح أمامنا المجال للتعرف على جماليات النص وقيمه الإبداعية وإستراتيجيات سعد محمد رحيم في كتابة النص الروائي بالإضافة للمعرفة المتقنة والدقيقة على فترة الغزو الأمريكي والحرب مع إيران ثم مع الكويت.

أسئلة البحث

ما نطمح إليه في هذا البحث هو الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما الاستراتيجيات النصية التي تقف خلف القارئ بניתها اللغوية؟
- كيف حضر القارئ الضمني في روايتي "مقتل بائع الكتب" و"غسق الكراكي"؟
- كيف ساعد سعد محمد رحيم علامات القارئ الضمني المأخوذة من نظرية فولفغانغ إيزر في تشكيل القارئ الضمني في رواياته؟

الدراسات السابقة

هناك دراسات متعددة حول القارئ الضمني منها: مقال بعنوان «القارئ الضمني في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني» (٢٠١٦م). لفاضل عبود خميس التميمي. مجلة رؤى فكرية جامعة سوق أهراس، العدد الثالث. أوضحت الدراسة أن من أهم المزايا النصية

للكتاب هو حضور القارئ الضمني في نصه فقد كان الباقلائي مهتما بمتلقيه وهو يديم النظر في فصول الكتاب فكأنه يريد أن يجعل من القارئ قناة اتصال حاملة أفكار الكتاب نحو القارئ الحقيقي، كما أوضحت أن للقارئ المعاصر أن يستدل على وجود قارئ من خلال بعض المظاهر التي تحيل على فكرة التماهي التي لا بد من وجودها بين إعجاز القرآن بوصفه كتاب التلقي والقارئ الحقيقي الذي هو هدف مركزي للمؤلف ومن هذه المظاهر القارئ السائل والقارئ المحاور. وأشارت الدراسة إلى أنه قد تكون دعوة المؤلف للقارئ جادة مصحوبة بشرط القراءة الواعية وقد تكون ممزوجة بحس منهجي ويلجأ الباقلائي كثيرا إلى مخاطبة القارئ الضمني بما يُعرف بالأساليب التربوية التي تراعي حال المخاطب بالدعوة الصريحة إلى حثه على التأمل واستدراجه بواسطة استفهامات مغلقة برؤية نفسية شفيفة إنعاما في الدعوة إلى التلقي والفهم، كما أشارت إلى أن استدعاء القارئ الضمني في هذا الكتاب ما كان إلا لغرض بناء النص وتحديد رؤيته وإكمال شكله وخلاصة فحواه وهو إن دل على شيء إنما يدل على طرافة الكتاب وسعة عقل المؤلف وحضور المنهجية الحية فيه.

رسالة ماجستير بعنوان «القارئ الضمني في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي» (٢٠١٦م) للطالب ناصر مرابط، جامعة أكلي محند أولحاج الجزائر. يقوم الطالب في هذه الرسالة بتحليل مفهوم القارئ الضمني وأفق توقع القارئ وأفق توقع الرواية ويخصص الفصل الثالث من الرسالة بهوية القارئ الضمني وتحليل الهوية الجنسية والهوية الوطنية في رواية عابر سرير. من نتائج هذه الرسالة هي أن الكاتبة اعتمدت على تقنيات خطاب محددة تستهدف بها إشراك قارئ ذي هوية وطنية محددة إنها ترسم لقارئها معالم انتماء ثقافي خاص يجعله عضواً في جماعة تجمع أفرادها سمات أساسية، فاستعمال اللغة العامية الجزائرية، والنهل من الموروث الثقافي الجزائري بالإضافة إلى وصف عادات وتقاليد جزائرية محضنة، كل هذا يجعل الكاتب يصف القارئ الضمني بأنه جزائري يشارك السارد معرفة كل هذه الأمور ويتفاعل معها بسهولة.

مقال لجاسم محمد عباس وعلي محمد عبد بعنوان «القارئ الضمني في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي» (٢٠٢٠م). مجلة دراسات، المجلد ٤٧، العدد ٢. يقوم الكاتبان بتحليل تقنيات التلقي كوجهة النظر الجواله، تقنية الحوار، بنية الفراغات، الانزياح الاستدلالي والتداخل الاجناسي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي ويشيران إلى أن ابن شهيد استعان بالقارئ الضمني لإيصال رسالته التي من أجلها ألف رسالة التوابع والزوابع ونص رسالة التوابع والزوابع بنية سردية ملائمة لبروز القارئ الضمني ولاسيما في صيغة الحوار الخارجي (الديالوج) والحوار الداخلي (مونولوج).

مقال بعنوان «القارئ في ما وراء السرد روايات سعد محمد رحيم اختيارا» (٢٠٢٢م) لأحلام عدنان جبار ومحمد عبدالحسين هويدي، مجلة اوروك جامعة المثنى، العدد ٣، ج ١، المجلد الخامس عشر. يقوم الباحثان بتحليل اربعة من الروايات سعد محمد رحيم (غسق الكراكي، مقتل بائع الكتب، فسحة للجنون والقطار إلى منزل هانا) من جهة الميتاسردية ويؤكد بأن حضور القارئ الضمني فيما وراء السرد ليس حضورا حقيقيا بل إنه يمثل حضورا وهميا يخضع لقوانين التخيل ويظهرها مقدار الاهتمام الذي أوله سعد من خلال رواياته للقارئ ومدى حضور القارئ في النص سواء كان قارئا ضمنيا أم حقيقيا.

مقال «دراسة وتحليل تمظهرات حضور القارئ الضمني في مقامات الحريري مستمدا من آراء منظري نظرية التلقي» (٢٠٢٢م) لمحمد صادق ضروري ورضا افخمي عقدا. مجلة الأثر. مجلد ١٩. يقوم هذا البحث بدراسة القارئ الضمني وتحديد الفني في مقامات الحريري من خلال عدة الآليات التي اقترحها آيدن جمبرز كالأسلوب والرؤية السردية والفجوة. ووصلت الدراسة إلى هذه النتيجة أن القارئ الذي قد افترضه المؤلف حين كتابة المقامة قارئا يتعين له شيئا من الأدبية والبلاغة مع القاموس اللغوي المتسع ومستوى عال في القراءة وفهم اللغة ومعرفة الأمثال ومواضعها الدلالية والمعنوية.

ولكن لم نجد دراسة أو بحثا عن القارئ الضمني وتحليله في روايات «مقتل بائع الكتب» و«غسق الكراكي» لسعد محمد رحيم.

الإطار النظري

القارئ الضمني وعلاماته

للولصول لمفهوم القارئ الضمني بوصفه مفهوماً إجرائياً يجب أن نقوم بتعريف مفهوم القارئ أولاً؛ القارئ هو ذلك الشخص الذي يقرأ النص ويقوم بفك شفراته ويقوم بإعادة بنائه وإنتاج معانيه. تشير وهبة إلى أن «القارئ هو المتلقي الذي يستقبل النص الذي وضعه الكاتب بقصد مخاطبته والتأثير فيه، وهو في هذا لديه القابلية على نقد النص وتأويله.» (وهبة، ١٩٨٤م: ١٨٢) لكن مفهوم القارئ قبل ظهور نظرية التلقي لم يكن سوى مستهلكاً للنص، فهو كائن خارج عملية الإبداع الأدبي يستقبل النص بوصفه وديعة يستعين على فهم النص بغيره من القراء. (مزاري، ٢٠٠٩م: ١٣٦)

نشر إيزر نظريته بخصوص القارئ الضمني عام ١٩٧٦م، وراح يهتم بآثار النص على قارئ محدد ويرى أن القارئ هو الفرضية الكامنة في نية الكاتب حين يشرع في الكتابة وعليه فإن واجبنا هو أن نظهر كيف ينظم كتاب ما شكل قراءته ويوجهها، ثم نظهر كيف يستجيب الشخص القارئ في ملكاته الإدراكية إلى مقترحات النص. (سحلول، ١٩٩٥م: ١٧٨) ويستعمل إيزر هذا المفهوم لفهم التأثيرات التي تسببها الأعمال الأدبية وتجابوات التي تشيرها، ويقول في ذلك أننا إذا أردنا أن نحاول فهم التأثيرات التي تسببها العمل الأدبية والتجابوات التي تثيرها يجب علينا أن نسلم بحضور القارئ دون أن نحدد مسبقاً بأي حال من الأحوال طبيعة وضعيته التاريخية ويمكن أن نسميه القارئ الضمني (اسماعيل علي، ١٩٩٩م: ٩٥-٩٦) وهو ليس فكرة مجردة مشتقة من قارئ حقيقي بل هو القوة التحكيمية التي تكمن وراء نوع من التوتر يفرزه القارئ الحقيقي حين يقبل الدور المسند إليه وينشأ هذا التوتر في المقام الأول من الاختلاف. (إيزر، ١٩٨٧م: ٤١-٤٢) فالقارئ الضمني مفهوم له جذور راسخة في بنية النص؛ إنه المعنى ولا سبيل إلى الربط بينه وبين أي قارئ حقيقي. (إيزر، ١٩٨٧م، ٤١-٤٢) فإن القارئ الضمني يختلف عن الأنواع الأخرى من القراء، فمثلاً القارئ الحقيقي فهذا النوع يمثل شخصية حقيقية موجودة خارج النص من لحم ودم، وهو متلقي رسالة أدبية، كما أنه متغير بتغير التاريخ، عكس المؤلف الواقعي الذي يبقى شخصاً ثابتاً ومحدداً. (شرش، ٢٠٠٩م، ١١٠)

بعبارة أخرى؛ إن القارئ الضمني بنية نصية تتوقع وجود متلقي دون أن تحدد بالضرورة وهو مفهوم يبني الدور الذي يتخذه كل متلقي مسبقاً وهو ما يصدق حتى حين تعتمد النصوص إلى تجاهل متلقيها المحتمل أو إقصائه لذا فمفهوم القارئ ضمني يخلق شبكة من البنى المثيرة للاستجابة، مما يدفع القارئ لفهم النص. (إيزر، ١٩٨٧م: ٤٠) يشير رمان سلدن بأن إيزر «في ضوء مجهودات اثنين من الظاهراتين هما إدموند هوسرل ورومان اينجاردن^١، يرسى منحاً جديداً في تحليل عملية القراءة وهو منحى ثلاثي الأبعاد، هي: النص القارئ وأهم منهما الظروف التي تحكم عملية التفاعل بينهما وهذا هو البعد الثالث ويبرز من بين أطروحات إيزر مفهومه عن القارئ الضمني وهو مفهوم الذي يوجز صيغة معينة من خلالها وصف عملية القراءة وهي العملية التي تتحول من خلالها البيانات النصية إلى خبرات شخصية وذلك من خلال النشاط الإدراكي.» (سلدن، ١٩٩٨م: ١٧١) أي أن القارئ الضمني هو شبكة من البنيات التي تتطلب تفاعل القاري مع النص أي أن القارئ يواجه النص في موقع نصي يجعله يدرك المعاني بشكل فعال.

علامات صامتة مع شواهد من الروايتين

إن القارئ الضمني جزء من العمل الأدبي فهو موجود في خيال المبدع وفي ثنايا النص. يقوم هذا القارئ بالكشف عن المستور والمخبي في أي نص، لأن من أهم مهماته «اكتشاف ما لم يقله النص من خلال ما قاله.» (أبوزيد، ١٩٩٢م: ٣٦) إن إيزر يحاول بواسطة هذا المفهوم الجديد تمييز قارئه عن أصناف القراء الذين كانوا معروفين من قبل، كالقارئ الأعلى والقارئ المخبر وبذلك يؤسس لقارئ جذوره راسخة في بنية النص وبهذا نجح في إيجاد نمط جديد للقارئ يتناسب مع نظريته في التعامل مع النص الأدبي من هذا

كله يظهر أن إيزر كان متحمسا للبحث عن نموذج متعال يجسد كل تلك الإستعدادات اللازمة لكي يمارس النص الأدبي تأثيره. (اسماعيل علي، ١٩٩٩م: ٩٥-٩٦)

هناك العلامات الصامتة في النص تدل على وجود القارئ الضمني داخل العمل الأدبي وهي علامات يأتي بها المؤلف لكي يشير إلى حضور البنية الضمنية الكامنة وراء النص ويصمت ويترك المجال للمتلقي في كشفها. تشمل هلاه العلامات على الضمائر، والاستفهام، والشخصيات والتهميش.

الضمائر (ضمائر المتكلم-الضمير نحن)

يعتقد بيير جيرو بأن الضمائر نوعاً من الروابط الوصلية ويقول «الضمائر الشخصية الثلاثة تميز الأشخاص موضوع الخطاب بموجب أدوارهم ضمن عملية الإيصال الذي يتكلم الذي نوجه إليه الكلام، الذي نتكلم عنه، وهي تضطلع بدور راجح في الإيصال الأدبي باعتبار أنها تجعل المرجح تناوباً بين الكاتب والقارئ والشخص، وتناسب مع الوظائف الثلاث: الوظيفة المرجعية، والانفعالية والإدراكية.» (جيرو، دت: ١٠٠)

مثل نص روايتي «مقتل بائع الكتب» و«غسق الكراكي» مجموعة من العلامات الصامتة والمضمرة في ثنايا سطورهما التي تشير إلى وجود قارئ، بحيث نلاحظه من خلال وجود الضمائر، فبدراسة هذه الأخيرة نحدد صورة القارئ الضمني.

نلاحظ في نص هاتين الروايتين عدة ضمائر مرتبطة بالأحداث التي يتعرض لها البطل وتمنحنا رؤية عميقة عن انكسار النفوس والظروف الصعبة التي يواجهها الأفراد والمجتمع في فترة الحرب مع كل أبعاده ومقاييسه مثلما يتجلى لنا في هذه المقاطع السردية:

«أليس من الواجب أن نفعل نحن شيئاً؟ كان يسمح عرقه بمنديل ويريد أن يغادر... أردت أن أسأله: من تقصد ب "نحن"؟ لم أسأل... لم أنبس بكلمة أخرى... هو الآخر لم يفعل... أسفت لأن كلامي زاد من حزنه» (رحيم، ٢٠١٧م، (م: ٤٩)

«هذا ما أقوله يا مايا أن نعود لنكون أنفسنا أن نستعيد جميعاً ما فقدناه أو بعضه في الأقل

جميعاً، تقصد من؟

الضحية والجلاد معا

لقد خسر من خسر، ولا أعتقد أن بمقدورنا استعادة أي شيء

ربما ولكن يمكن أن نعطي معنى ما للخسارات

الجدوى؟

....

مثل هذا التفكير يجعل ماضيها يطاردنا أبداً وسنخسر الفرصة الأخيرة من أجل المستقبل.» (رحيم، ٢٠١٧م، (م: ١٣٨)

نلاحظ في هذه الأمثلة يتكرر الضمير المنفصل نحن والضمير المتصل نا وهذا يدل على أن المؤلف باستخدام هذه الضمائر يدعو القارئ في مشاركة النص لأن المؤلف يجد نفسه إزاء احتمالات واقع سياسي صاخب، ويحلم بمستقبل زاهر لبلده. إضافة على هذا، هذه الأمثلة، تحيل إلى معاناة وصعوبات ومأساة الكاتب إزاء صمت وتقاعس الناس تجاه مشاكل المجتمع مثل الحرب ويعتقد بأن يجب على الشعب العراقي أن يقوم بتغيير وتحسين الأوضاع في مجتمعهم.

ونلاحظ أيضاً في رواية «غسق الكراكي» هذه العلامة التي تدل على القارئ الضمني في الرواية:

«ذات مرة أخذ عارف قلماً وحدد على ورقة نقطتين متباعدتين كتب على الأولى (الإنسان المثالي جدا) وعلى الثانية كتب

(الإنسان مأزوم جدا، ذهنياً وأخلاقياً). وقال نحن البشر جميعاً يقف كل منا في نقطة ما بين النقطتين فكلما اقتربنا من الأولى كُنّا

أسوأ وكلما ابتعدنا لنقترب من الثانية كانت فينا أعراض جنون ولا أخلاقية.» (المصدر نفسه، (غ: ٣١)

«غول الحرب انسحب إلى كهفه المقيت منهكا، مخذولاً، ملوث المخالب، وبقينا نحن.» (المصدر نفسه، (غ: ٢٨)

يعتقد إيزر أن النص الأدبي ينطوي في بنياته الأساسية على مثلث قد افترضه المؤلف بصورة لا شعورية، هو متضمن في النص في شكله وترجمته وأسلوبه، وهذا التصور لمفهوم القارئ الضمني يشبه تماما مفهوم اللغة عند سوسير^١ فهو تجريد يوجه النص الأدبي بصورة مقصودة أو غير مقصودة، وجهة تحقيق وظيفته التواصلية، ولذلك فإن من الافتراض الأساسي كان يدفع إيزر يقوم بعدد من الإجراءات التي تكشف عن الأشكال التي يتجسد فيها القارئ الضمني في النص الأدبي. (عودة خضر، ١٩٩٧م: ١٤٨)

إن توظيف ضمائر الجمع المتكلم (نحن) هو دلالة على افتتاح النص على المتلقي «أنت»، وإن دلالة ضمير المتكلم نحن هو جمع لثلاثة ضمائر هي (أنا، أتم، هم) ومنه فإن القارئ الضمني يحضر في الخطاب السردى بحيث يقوم بتفعيل الأحداث من أجل حدوث عملية التأثير والتأثر للوصول إلى وصف ما آلت إليه أوضاع البلد في زمن الحرب.

كما تجسدت علامة القارئ الضمني من خلال استعمال ضمير المتكلم أنا ويتضح ذلك في العبارات التالية:

«أنا نفسي لأدري ماذا سيحصل وإلى أين نحن سائرون؟» (المصدر نفسه، (م: ٤٧)

«كمال كان ضحية... هو ليس ضحية الحرب وحدها بل ضحيتنا وضحية نفسه أيضا... ضحية مصادفة وجوده في هذا الزمان

وهذا المكان، كما أنت وأنا. كما نحن.» (المصدر نفسه، (غ: ٢٢٣)

نجد في هذه الأمثلة الروائي يصرّ على جعل القارئ طرفا مشتركا في الحكى من خلال التنوع في استخدام الضمائر التي تستدعي حضوره والقارئ هنا يبدو معنى بما في هذه العبارات ويعرف حتما ما يقصده الرواي.

تقنية الاستفهام

الأسلوب فهو طريقة الأديب الخاصة للتعبير عن أغراضه من الكلام، فيشتهر بهذه الطريقة الخاصة المعبرة عن الأغراض ولهذا الأسلوب المستخدم عند الأديب آليات ووسائل كثيرة التداول على الألسن دائما لإرسال الكلام إلى المتلقي. وتتجلى أهميته في كونه ذا أثر كبير في وضوح المعنى أو غموضه. (ميرزاي وآخرون، ١٣٩٩هـ.ش: ٤)

يعدّ أسلوب الاستفهام من الأساليب الشائعة في الأدب العربي وله قيمة جمالية يضيفها على النص الذي يرد فيه. ومن أغزر قوالب الكلام العربي سواء كان لهدف مباشر أم غير مباشر فالاستفهام قد لا يبحث فيه المتكلم عن إجابة محددة وإنما يهدف إلى تصور ما يتحدث عنه فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتى.

نلمس هذا الإجراء في رواية «مقتل بائع الكتب» حيث تتبادر تساؤلات في ذهن ماجد البغدادي حول شخصية محمود المرزوق وسرّ حياته وتضع الشخصية أمام القراء تساؤلات تنتظر منهم الإجابة عنها، فكل قارئ حقيقي لأحداث روايتين «مقتل بائع الكتب» و«غسق الكراكي» يحس وكأنها تساؤلات موجهة إليه لا محالة ويبقى سرد السارد متواصلًا تتخلله تسارلات عن قضية لا تريد الإفصاح عنها تطرحها وكأنها تريد أحدا من القراء مساعدتها في كشف سرّ حياة البطل.

«أشعلت سيجارة وسحبت الستارة حتى منتصفها ورحت أراقب زرقة السماء الغامقة والأفكار تتخاطف في رأسي... أكان المرزوق يحاول الهرب مما يجري بطاقة البوح أم أنه كان ببساطة يخشى النسيان؟ لا أن يُنسى هو بل أن يلحق النسيان بما حدث من هول حوله؟ أكان يعرف أن ما يكتبه ستكون مادة خام لكتابة لاحقة يتنكب لإنجازها أحد ما يجهله؟ أكان يفترض قارنا ما سينشغل بهذا التدوين الذي يشبه هامشا اعتراضيا على حوليات التاريخ؟ أتخيل في أية لحظة أنه سيكون بطلاً في كتاب لا بد من أن يستعين كاتبه بما يكتب هو محمود المرزوق؟» (رحيم، ٢٠١٧م، (م: ٧٦)

يلاحظ المتتبع لشخصيات الرواية أن هذه الأسئلة التي قد تبدو ساذجة هي موجهة إلى قارئ حقيقي، حيث تقدم له فرصة مباشرة للمشاركة في الحدث من أجل الوصول للمعنى الحقيقي.

«من هي مها؟ وماذا كان كمال يعني لها؟ وماذا كانت هي تعني لكمال؟ وهل من حقّها أن تدخل في نسج هذه الرواية -رواية كمال-؟ وإن دخلت فهل ستكشف لنا ما هو لافت، من تاريخه وشخصيته؟ وهل سنقع من خلالها على طبقة أخرى، عميقة وغزيرة بالدلالات من تلك الأعماق الغائرة في أرض كمال الصلدة؟ هل ستأخذنا مها هذه إلى أفق صحيح أم أنها ستضلّلنا وتشتتنا؟» (المصدر نفسه، (غ): ٥٤)

أعطى الكاتب سعد محمد رحيم معلومات للقارئ الحقيقي من خلال الأسئلة التي تدور في بال الراوي محمد سعيد ابن عم كمال حيث يحثه لقراءة القصة ويسمح للقارئ بالتواصل مع النص. يظل القارئ الضمني ككل مرة يزود القارئ الحقيقي بالمعلومات التي يجهلها عن شخصيات الرواية من خلال سرد تفاصيل قد تراهن من خلالها على إرساء فكرة معينة في ذهنهم القراء.

«كان كمال عصياً عليّ في حياته لكن هل سيكون كذلك أيضاً وأنا أمام ركام من أوراقه وأشياءه التي أظن أنه تركها لي في صندوقه أو عند الآخرين؟ وهل ستعيني ذاكرتي وذاكرة أصدقائه ومعارفه لأحقق الفرصة التي سلبتها منه الحرب؟ أقصد أن أكتب روايته؟ ما يقلقني هو كيف؟ بأية لغة؟ وبأي منظور؟ وإستناداً إلى أية قواعد للصنعة يمكنني أن أبتكر كمالاً في رواية؟» (المصدر نفسه، (غ): ١١)

إذا تنوب في رواية "مقتل بائع الكتب" شخصية ماجد البغدادي وفي رواية «غسق الكراكي» محمد سعيد عن القارئ الضمني والتي تعتبر علامة لتواجده في بنية النص، حيث أن التساؤلات التي طرحها ماجد البغدادي ومحمد سعيد يمكن لأي متلقي أن يطرحها. بعبارة أخرى؛ هذه الأسئلة تزيد من خاصية الفعل التواصل وهي حلقة الوصل بين الكاتب والقارئ الضمني. وعندما يقرأها القارئ يدفع إلى متابعة الأحداث وكشف القصد الذي يثير توقعه. وسبب ذلك هو أن هذا الاستفهام يخلق فجوات يراد منها إثارة انتباه القارئ وحثه على المضي في القراءة من خلال السؤال والجواب.

وعلى الرغم من أن هذه المشاهد مشاهد قصيرة جداً إلا أنّها مثيرة للكثير من الأسئلة التي تتناوب على طرحها كل من الكاتب والقارئ، الأول بوصفه منتجاً لنصٍ يحمل في طياته استجابات لقارئ مفترض والثاني بوصفه متلقياً يتوقع من النص أن يثير بعضاً من رغباته ويحمل شيئاً من صفاته.

الشخصيات

أول ما نلاحظه في رواية «غسق الكراكي» و«مقتل بائع الكتب» هو أن الكاتب من خلال شخصية ابن عم كمال وماجد بغدادي يلعب دور المتلقي حيث يروي ابن عم كمال قصة حياة كمال للقارئ وماجد بغدادي صحفي يسعى لسرد حقيقة حياة محمود المرزوق.

«أكتب هذه الرواية لأثبت بأن كمالاً قد عاش وأنه بمعنى من المعاني لم يموت. ولكن... هل أستطيع؟ هل أستطيع أن أملك هذا النثر؟ أن أرمم تلك الثغرات كلها التي لا شك، أنه عافها لي.» (رحيم، ٢٠١٧م، (غ): ١٠)

فالسارد هنا محمد سعيد ابن عم كمال يسعى ليثبت بأن كمالاً لم يموت ومن خلال هذه كتابة يكشف سر حياته وهذا أضفى جواً رائعاً في السرد حتى أنه في حياة كمال يلتقي بالأحداث والرموز التي يثير انتباه القارئ لقراءة الرواية. وللشخصية محمد سعيد دور المسرود له وبذلك يكون القارئ الضمني مخفياً وراء ستار ألفاظ تلك الشخصية. وأيضاً في الرواية «مقتل بائع الكتب» تتحد علامات القارئ الضمني بصورة مباشرة من خلال كلمات يتوجه بها السارد إلى المسرود بطريقة مباشرة، حيث يلعب الصحفي ماجد البغدادي في رواية «مقتل بائع الكتب» الذي يقوم بكشف عن حياة محمود المرزوق دوراً هاماً في التعبير عن مشاكل العراق وضعف الأوضاع الأدبي والثقافي في تلك الفترة وهذه إحدى آليات حضور المتلقي في النص الروائي.

«قلت له: أعطني خبزاً ومسرحة لقد عثر الخبز والناس بالكاد يحصلون عليه لذا من سيفكر بالمسرح والفن؟» (المصدر نفسه، (م): ٩٦)

«أنت مثل أهل الكهف الذين استيقظوا في زمن آخر ستكتشف أن عملك القديمة لم تعد لها أية قيمة... تجارة الكتب بائرة من الجميل أن تفتح مكتبة هنا ولكن لا تتوقع أن تريح شيئاً» (المصدر نفسه، (م): ٩٧)

إن الحرب وظروف الحصار تؤثر على الثقافة والحضارة والأدب وتبعد الناس عن مواضع الفن والأدب ولكن حسب نظر محمود المرزوقي رغم الظروف الصعبة في العراق ولكن هناك أشخاص يفكرون دائماً بالثقافة والأدب ويهتمون بهما ولا يبتعد عنهما في أي ظروف.

التهميش والشرح في الرواية

نجد في الروايات المذكورة أن الكاتب اعتمد على تقنية التهميش لبعض الكلمات إذ يلجأ إلى شرح و توضيح بعض المصطلحات لأنه مدرك تماماً أن عمله ليس موجهاً إلى قارئ محدد بل «إن الكاتب إنما يكتب للقارئ من حيث هو فرد من أفراد الناس في العالم.» (سارتر، ٢٠٠٥م: ٧٢)

فمثلاً نجده يعتمد إلى شرح كلمة "وحش الطاوة"

«وحش الطاوة هو التسمية التي أطلقها العراقيون على الباذنجان تهكماً لزيادة استهلاكهم له نظراً لرخص سعره وتوفره بكثرة في السنين الأولى للحصار.» (رحيم، ٢٠١٧م، (غ): ١٠٨)

الراوي استخدم كلمة "وحش الطاوة" لباذنجان ساخراً لزيادة استعماله في فترة الحرب. لأن أرخص الشيء الذي يستطيع أن يشتريه الناس هو الباذنجان وهنا الكاتب يقوم بشرح هذه الكلمة في الهامش لكي يقرب مفهومه إلى ذهن القارئ. الكاتب في قسم آخر من رواية «غسق الكراكي» يشبه سارة بالماء ويجري هذا التشبيه علي لسان عارف ويقول: «سارة أشدنا حساسية وصفاء روح... إنها مثل الماء.

ما هذا التشبيه؟ مثل الماء؟

أجل يا محمد مثل الماء. فالماء لغز كوني. ويا له من تعريف سخيف ذاك الذي يحدد الماء بأنه سائل بلا لون، ولا طعم ولا رائحة ويتخذ شكل الإناء الذي يحتويه.» (المصدر نفسه، ١٥١)

هنا يشبه الكاتب سارة بالماء وبعد ذلك يقوم بتعريف الماء ويبين بأن هذا التعريف سخيف. طبعاً يعرف القارئ ما الماء؟ وما مواصفاته؟ ولكن الكاتب يقوم بشرح أكثر لكي ينتقل إلى القارئ بأن هذا التعريف سخيف وسارة مثل الماء لكن لها لون ورائحة وشكل وهذا يختلف عن مواصفات الماء.

«لكنني أحفظ جملاً من كلامه عن المبعي... قال وهو يختم كلامه وقد حلّ الليل وانقطعت الكهرباء فأشعلوا الشموع: المبعي مكان سيء يجري فيه امتحان لكرامة الجسد البشري. إنه نوع من الممارسة العبودية المقيتة والتجارة السوداء. ولكن لم يزدهر مكان ودائماً من غير وجود المباعي وهذا من مفارقات التاريخ وتّرهاته.» (رحيم، ٢٠١٧م، (م): ٣٤)

فالكاتب هنا مدرك أن حين يكتب روايته فهي موجهة لكل القراء باختلاف هويتهم ومستواهم وبالتالي لا بد له أن لا يترك لديه أي غموض إذا يقوم بشرح الكلمات المبهمة للقارئ ككلمة «المبعي» و«السرداب» «كان جزءاً من الطابق التحتي (التحت أرضي) للعمارة» (المصدر نفسه، (م): ٤٣) و«العربة» «بالعربة (الربل) حملوني إلى بيت عمي» (المصدر نفسه، (غ): ١١٩) والسارد يتدخل في كثير من الأحيان بين أحداث الرواية ليقدم تفسيرات أو الشروح لبعض الكلمات التي يدرك الكاتب أنها غامضة والقارئ على جهل بها.

العلامات الناطقة مع شواهد من الروايات

إن الاستراتيجيات النصية بمنزلة علامات تشير إلى وقوف القارئ الضمني خلف بنيتها اللغوية والنص مملوء بهذه العلامات حيث «أن النص بوصفه بنية علاماتيّة مغلقة يكون فهمه من خلال منظومة شمولية تحكمها العلاقات المتبادلة في العلامات وتحقق من خلالها القيمة، فلا توجد قيمة للعلامة بمعزل عن علاماتها اللافقية، فإن هذه المعطيات الجديدة على الساحة النقدية بعد أن أخلت الساحة للقارئ والنص.» (محمد عباس ومحمد عبد، ٢٠٢٠م: ١٢)

يؤكد إيزر على مهمة القارئ وهي كشف عن قصدية المنشئ ويعين القارئ في هذا الأمر العلامات الموجودة في النص ويلجأ المتلقي إلى التقاط هذه العلامات من خلال تقنيات عدة منها القارئ القريب-ضمائر الخطاب وحضور القارئ الضمني.

القارئ القريب-ضمائر الخطاب

وهو من يخاطبه الشاعر بصيغة الخطاب المباشر، ويأتي معه الضمير «أنت» أو «أنتم» وضمائر الخطاب، وهو ما يجسد القارئ الضمني بصورة مباشرة لذا فهو قريب؛ لأنه المخاطب والمقصود دون الحاجة للتأمل أو التأويل، فإن كان الغرض من مقاربة القارئ الضمني في الأدب هو إثبات الذات المخاطبة المقصودة. (محمد عبد الحميد أحمد، ٢٠٢٣م: ١٨٢٨)

الروائي يظهر القارئ الضمني في الخطاب السردى مضمرًا على شكل صيغة ضمير الجمع للمخاطبين «كم» و«أنتم» ويتضح ذلك من خلال النماذج التالية:

«وها أنا أقوله لكم وعيناي تتكحلان بمرأى سماحة وجوهكم الكريمة ربما تتساءلون ودودة الفضول تنخركم من تكون تلك المرأة؟ امرأة جمالها عاصفة وجنون، إن افصحت عن اسمها الآن لبقرت العشائر العربية الأصيلة بطني هذه الليلة» (رحيم، ٢٠١٧م، (م: ٢٩)

وبالإضافة إلى هذا نجد الخطابات التي يدرجها الكاتب في الرواية من خلال الراوي الذي نجده يتوقف عن سرد الأحداث ليوجه انتباه القارئ إلى أمر معين أو لتحفيزه وإشراكه في الأحداث فمثلاً حين يقول:

«أتصور أن بعضكم يقول الآن في سرّه... أقصد بالكتب الآثمة تلك التي تصدم ذائقتكم وتبليبل أفكارهم وتزعزع يقينياتكم وتجعل ما اطمئننتم إليه في مهب الريح...» (المصدر نفسه، (م: ٣١)

«أخفف من غلواء قلقكم وتوتركم أسارع إلى القول؛ إن هذه المدينة مدينتنا التاريخية العريقة، قريتنا الكبيرة العامرة بأهلها أستطيع أن أؤكد أنها نظيفة كصحراء.» (رحيم، ٢٠١٧م، (م: ٣٢)

إن استعمال ضمير المخاطب «كم» في نماذج الأخيرة ليس إلا دعوة للمتلقي لتحريضه وتشجيعه على النهوض والاستشهاد وعدم الصمت وإن أحداث نص الرواية تدور حول سرد ووصف الشخصية محمود المرزوق، وبين مأساة ومعاناة المجتمع العراقي.

«استيقظوا وجاؤوا معنا... من يعرف لغتهم... لماذا أنتم نائمون؟ تعبنا ونحن كنا متعبين. ضحكنا وقلنا من لا يتعب في الحرب.» (المصدر نفسه، (غ: ٧٠)

نلاحظ أن هناك في كل هذه المقاطع ضمائر للخطاب فالراوي هنا بصدد مخاطبة القارئ ويهدف إلى لفت انتباهه إلى أن النهوض والقيام هو الحل الوحيد لتخلص وطنهم عن الحرب، ويجعل القارئ يتفاعل مع الأحداث ويشعر أنه داخل فيها ويتوتر إزائها وإن تحويل الصيغة إلى ضمير الجمع للمخاطبين وشم ضمير المتكلم ليس إلا تشكيل للقارئ الضمني ضمن النسيج الروائي. والغرض منه تحقيق المزيد من التأثير على القارئ من خلال الخطاب الروائي.

حضور القارئ الضمني

تميز القارئ بصفات خاصة به حسب النص لأنه بنية نصية، فإيزر كذلك يعتقد بأن الذات القارئة تشكل داخل النص، ومن هنا يمكن استخلاص هوية لهذا القارئ كما يتصوره الروائي أو المؤلف. الهوية هي مجمل الصفات التي تميز شخصاً عن غيره أو جماعة عن غيرها وتنقسم إلى هوية شخصية تعرف عليها من خلال الشكل والسن واسم الشخص أما الجماعية فهي تمثل المميزات المشتركة لمجموعة ما.

وفي روايتي «مقتل بائع الكتب» و«عشق الكراكي» نجد سعد محمد رحيم وصف شخصيات الرواية بشكل دقيق، فالقارئ يدرك الهوية الشخصية لها من اسمها وسنّها ومواصفاتها مباشرة ومن القراءة الأولى للرواية لأنها هوية ذات صبغة فردية، أما الهوية

الجماعية وكونها أوصاف يتقاسمها الفرد مع الجماعة التي يعيش معها فتظهر من خلال الهوية المدنية للقارئ الحقيقي وهي الهوية العراقية لأن الرواية تتناول بالدرجة الأولى واقع الشعب العراقي ومسيرة كفاحه في فترة زمنية معينة.

أما الهوية الأدبية للقارئ الضمني فهي تظهر من خلال تقنيات نصية وضعها الكاتب حيث يتجلى بوضوح الهوية الوطنية العراقية للقارئ من خلال مختلف أنواع العادات والتقاليد التي يشتهر بها المجتمع العراقي ويعلم الكاتب أن القارئ العراقي يعرفها مثل العادات في الزواج وتعيين المهر «انطلقت الزغاريد ليلتها من بيت المحامي. وكانت قد جرت العادة أن يذهب الرجال مع النساء في اليوم التالي ليكملوا الاتفاق الخاص بمقدّم الصداق ومؤخره وبقية شروط الزواج التقليدية.» (المصدر نفسه، (م: ٩٣) ونصب اللوحة القرآنية على الجدار مثل آية الكرسي «دخلنا الصالة الصغيرة العارية الجدران إلا من لوحة كبيرة رُسمت عليها آية الكرسي بخط الثلث المذهب» (المصدر نفسه، (م: ١٨) وأيضاً التقاليد الشائعة في مجلس العزاء وآداب العراقيين وأعمالهم والجمالات التي يتكرروها في مثل هذه المواقف «حالاّ ستشربون جميعاً ويتحلقون حولي، يكررون وهم يحتسون شرابهم الساخن وحالما يعلو وقع دقّ الدفوف وتصدح الحناجر النشوانة، يكفّون عن الضوضاء. يستحوذ سيل اللغة البراقة. الشعاع الهاب من الأغوار العتيقة، النقية. اللهم عطّر قبره الكريم بعرفٍ شدي من صلاة وتسليم. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه» (المصدر نفسه، (غ: ١٣) وأيضاً معتقدات أخرى مثل حجاب يحفظ الانسان من الموت «قال إنه يحمل حجاباً عمله ولي صالح مات قبل خمسين عاماً وكانت أمه تحتفظ به فأعطته إياه ولهذا فهو متأكد من أنه لن يموت في الحرب قد يُجرح ولكنه لن يموت.» (المصدر نفسه، ١٦٥) وسكب الماء خلف المسافر لكي يرجع قريباً «لكنها سكبت الماء خلفي كعادتها وأنا ماضٍ بحقيقتي والهموم ولأشهر طويلة لم تلتق عينيّ بعينيّ سارة» (المصدر نفسه، ١٧٠) وإشارة إلى حرب العراق والكويت «قال مصطفى كريم: ترك المحل بعدما لم يعد قادراً دفع إيجاره. تعرف ظروف الحصار بعد غزو الكويت.» (المصدر نفسه، (م: ١٧) والحرب بين أمريكا والعراق «الدنيا مقلوبة وأنت تسخر أمس قتلوا بقالاً وفي الأسبوع الفائت فجّروا فرن الصمون التركي في الجهة الثانية من نهر خريسان... هذه حرب مختلفة يا عبد الله ليست مثل حرب إيران وحرب الكويت.» (المصدر نفسه، ٦٥) وسقوط صدام «منذ ذلك اليوم لم يدخل المرزوق مبنانا حاولت معه بعد سقوط نظام صدام فرفض قلت له: الان تستطيع أن تتكلم براحتك من غير تحسب لسلطة أو خوف منها.» (المصدر نفسه، ٣٥) وزوبعة ٢٠٠٣ «رأيت الضوء ينبعث من أسفل ولا شغل لدي وساعة مع المرزوق ستكون ممتعة لاشك، كان ذلك قبل زوبعة نيسان ٢٠٠٣ بأشهر قليلة لم أضطر لطرق الباب.» (المصدر نفسه، ٣٦) وأماكن مثل سجن نقرة السلطان «قال مصطفى: هذه الصورة ألتقطت له بعد إطلاق سراحه من سجن نقرة السلطان في العام ١٩٦٨م.» (المصدر نفسه، ١٥) ومدينة بعقوبة «وقفت على رصيف شارع الكراج القديم أعدل من هندامي وأجبل النظر بوجل حولي كأنني أتوقع مفاجأة سيئة بعقوبة التي أدخلها للمرة الأولى تسبح في ضباب شفيف، المدينة التي عاشت عنفاً دامياً طوال السنوات السبع الأخيرة تبدو مسالمة، راكدة في هذه الساعة المبكرة من النهار» (المصدر نفسه، ٥) وساحة فردوسي «ساحة الفردوس أجمل، لا شك، من غير ذلك التمثال، لكن من يضمن أي شيء بوجود اليانكي؟» (المصدر نفسه، ٤٦) ونهر خريسان «تناولنا لحم الغنم المشوي والكبد المشوية وأنواع من السلطات والخضروات جالسين على ضفة نهر خريسان ثم خرجنا إلى مقهى الزهاوي القريب لنشرب الشاي» (المصدر نفسه، ٣٦) وإشارة إلى الأطعمة والأشربة مثل الشاي المهيل «جلسنا على أرائك واطئة قديمة وبقي واقفاً يكرّر عبارات الترهيب ثم مشى إلى المطبخ وعاد بعد دقيقة مع كؤوس من الشاي المهيل» (المصدر نفسه، ١٨) وملابس مثل دشدشة وتنورة «أن الشاب كان طويلاً يرتدي دشدشة بيضاء وجاكيتاً رصاصياً أو أزرق أو بأي لون قاتم.» (المصدر نفسه، ١٤) كلها يشير إلى حضور القارئ الضمني في الروايات المذكورة.

ذكر سعد محمد رحيم اسم الأماكن المعروفة والأشخاص المهمة وأشار إلى الأطعمة والألبسة الشائعة والتقاليد العراقية ليكون أكثر قرباً من المخاطب وينقل هذا المفهوم إليه بأن الوطن والهوية في خطر ويحتاج إلى الدعم.

يقول واين بوث: «إن المؤلف عندما يكتب، لا يخلق مثلاً إنسانياً عامّاً فقط ولكنه يخلق نسخة ضمنية من نفسه.» (هولب، ٢٠٠٠م:

١٣٦) «هذه النسخة يمكن تسميتها بالشخصية الثانية» (زكي مبارك، ١٩٨٨م: ١٥٨) للمؤلف، ونرى سعد محمد رحيم رغم محاولاته

للانزياح عن ذاته، وخلق نموذج إبداعي يتسم بالعموم وخاصة في القضايا العامة التي تتصل بالأوطان والهزة الوجدانية الناتجة عن تحول الأيام وتدهور الأوضاع وضياح الحرية والعزة والكرامة إلا أن شخصية المؤلف تواصل الحضور بقوة لأن الأديب جزء من كل كبير هو الشعب وإن حاول الوقوف خلف المبادئ والقيم ليكون في مأمن من المساءلة أو حسبما تقتضيه الضرورة في عصره.

إضافة إلى هذه الموارد التي قمنا بتحليلها نلاحظ أيضا أن الكاتب سعد محمد رحيم يقوم بإدخال وإشراك القارئ الحقيقي في نص رواياته من خلال ذهنيات وأسئلة التي تمر في أذهان الراوي. هنا القارئ الضمني بعيد عن الواقع، يعيد إنتاج المعنى للقارئ الواقعي بأبعاد جديدة، ولعل من ذلك ما قدمته شخصية محمد سعيد الذي أشرك قراءه في سؤاله:

«أكتب هذه الرواية لأثبت بأن كملاً قد عاش وأنه بمعنى من المعاني لم يميت ولكن... هل أستطيع؟ هل أستطيع أن أملك هذا النثر؟ أن أرمم تلك الثغرات كلها التي، لا شك، أنه عافها لي؟» (رحيم، ٢٠١٧م، (غ): ١٠)

حين يطلع القارئ على نص أدبي بصفة عامة والرواية بصفة خاصة فإنها تترك أثراً في نتاج نفسه كونها مليئة بالشخصيات والأحداث فإنها تترك في نفسه أثراً وتحدث فيه ردوداً وانفعالات عن كل حدث، فالقارئ حين يحثك بالرواية ويدخل عالمها يكون شبيهاً بحالة شخص يحلم أثناء اليقظة ويأخذ الخيال موقع الواقع فهو يرى ما هو خيال كأنه واقع أكيد فأثر القراءة في حياة القارئ ربما أكثر مما تتصوره.

نتائج

سعيًا خلال هذه الدراسة للتركيز على مفهوم القارئ الضمني كبنية نصية أساسية متوقعين حضور المتلقي دون أن يتم تحديده بالضرورة؛ القارئ الذي حين مرحلة القراءة يحط رحاله في أماكن متعددة ويلتقي أشخاصاً ويخالطهم ويندمج معهم ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم. استخدمنا في هذا المسار آراء المفكر الألماني فولغانغ إيزر الذي يؤكد على العلاقة بين النص والقارئ ويعتقد بأن الفهم ناتج عن تفاعل بينهما والقارئ الضمني أحد أدوات المتلقي ليسهم على نحو فاعل في انفتاح النص وفك شفراته. حسب وجهة نظر إيزر هناك استراتيجيات في النص تعين القارئ في كشف عن قصيدة المنشيء؛ وتبرز هذه الاستراتيجيات من خلال تقنيات عدة مثل العلامات الناطقة التي ينطق النص بها والعلامات الصامتة التي يلجأ المتلقي إليها لكشف الرموز في ثنايا النص. استعان سعد محمد رحيم بقارئه الضمني لايصال هدفه الذي من أجله ألف رواياته حيث أن نص رواياته بنية سردية ملانمة لبروز القارئ الضمني. من الاستراتيجيات التي استخدمها سعد محمد رحيم في نص الروايتين المعلنونتين «مقتل بائع الكتب» و«غسق الكراكي» هي العلامات الصامتة مثل الضمائر وتقنية الاستفهام وحضور الشخصيات والتهميش وأيضاً العلامات الناطقة مثل القارئ القريب وحضور القارئ الضمني. في الواقع أسهمت هذه العلامات على نحو كبير في تحريك القارئ الضمني ضمن المسار العام للسرد لاسيما العلامات الصامتة.

إن سعد محمد رحيم في بعض الأحيان يخاطب القارئ مباشرة عبر الضمائر الخطاب وعن طريق القارئ القريب وفي بعض من الفقرات لاحظنا بأنه يخاطب القارئ بصورة غير مباشرة ويدعوه باسمه أو بأية عبارة صريحة أخرى، لكن القارئ سجل وجوده بطرق غير مباشرة من خلال الشخصيات والتهميش والمشاهد التي تنكر أحياناً معتقدات القارئ التي يتوقع حصولها لديه ويشاركه الكثير من التجارب الخارج نصية. في الواقع، أعطى الكاتب سعد محمد رحيم معلومات للقارئ الحقيقي من خلال إدخاله ومشاركته القارئ الحقيقي في نص رواياته من خلال الأسئلة التي تدور في ذهن الراوي محمد سعيد ابن عم كمال وماجد البغدادي في رواية «مقتل بائع الكتب» حيث يحث القارئ لقراءة القصة ويسمح للقارئ بالتواصل مع النص. يظل القارئ الضمني ككل مرة يزود القارئ الحقيقي بالمعلومات التي يجهلها عن شخصيات الرواية من خلال سرد تفاصيل قد تراهن من خلالها على إرساء فكرة معينة في ذهن القارئ. مع كل هذه على القارئ أن يتمتع في قراءة هذه الروايات للحصول على المعاني الخفية والتي لا يمكن إمطة اللثام عنها بسهولة.

المصادر

- أبو زيد، نصر حامد. (١٩٩٢م). اشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- إسماعيلي علوي، حافظ. (١٩٩٩م). مدخل إلى نظرية التلقي، مجلة علامات في النقد، ع ٣٤. مج ١٠.
- إيزر، فولفغانغ. (١٩٨٧م). فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب. فاس: مطبعة الأفق.
- إيزر، فولفغانغ. (٢٠٠٦م). القارئ الضمني (انمط الاتصال في الرواية من بينان إلى بيكيت). ترجمة هناء خليف غني الدايني. الطبعة الأولى. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- إيزر، فولفغانغ. (٢٠١٠م). من يتكلم في الرواية (شعرية المسرود). ترجمة عدنان محمود محمد. الطبعة الأولى. دمشق: منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب.
- جيرو، بيير. (د.ت). الاسلوبية. ترجمة منذر عياشي، ط١، سوريا: مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر.
- حسن، عبد الناصر؛ شعبان، محمد. (٢٠٠٢م). نظرية التلقي بين ياكوس وإيزر. القاهرة: دار النهضة العربية.
- رحيم، سعد محمد. (٢٠١٧م). غسق الكراكي. الطبعة الثانية. بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع.
- رحيم، سعد محمد. (٢٠١٧م). مقتل بائع الكتب. الطبعة الثانية. بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع.
- زكي مبارك، كريمة. (١٩٨٨م). أحمد شوقي. الطبعة الأولى. بيروت: دارالجيل.
- سارتر، جان بول. (٢٠٠٥م). ما الأدب. ترجمة محمد غنيمي هلال. مصر: دار النهضة للطباعة والنشر.
- سحلول، حسن مصطفى. (١٩٩٥م). مشكلة القراءة والتأويل في النص الأدبي، سوريا: وزارة الثقافة.
- سلدن، رمان. (١٩٩٨م). النظرية الأدبية المعاصرة. ترجمة جابر عصفور. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- شرشر، عبدالقادر. (٢٠٠٩م). تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص. وهران: منشورات دار القدس العربي.
- شرفي، عبدالكريم. (٢٠٠٧م). من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة. الطبعة الأولى. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- عودة خضر، ناظم. (١٩٩٧م). الأصول المعرفية لنظرية التلقي. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- محمد عباس، جاسم؛ محمد عبد، علي. (٢٠٢٠م). القارئ الضمني في رسالة التواضع والزواج لابن شهيد الاندلسي. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٧، العدد ٢.
- محمد عبدالحميد أحمد، أسماء. (٢٠٢٣م). القارئ الضمني في شعر رثاء المدن والممالك. مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد ٣٨، صص ١٨٠١-١٨٦٧.
- مزارى، شارف. (٢٠٠٩م). جمالية التلقي في القرآن الكريم. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- ميرزاني، فرامرز وآخرون. (١٣٩٩هـ.ش)، فورة أسلوب الاستفهام في رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله دراسة جمالية، بحوث في اللغة العربية، العدد ٢٦.
- هولب، روبرت. (٢٠٠٠م). نظرية التلقي؛ مقدمة نقدية. ترجمة عزالدين إسماعيل. الطبعة الأولى. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- وهبة، وجدي. (١٩٨٤م). معجم امصطلحات الأدبية. بيروت: مكتبة لبنان.

References

- Abu Zaid, N, (1992), Problems of Reading and Interpretation Mechanisms, 1st edition, Morocco: The Arab Cultural Center. (In Arabic)
- Awda Khadr, Nazim. (1997). The Epistemological Foundations of Reception Theory. Amman: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution. (In Arabic)
- Guiraud, p. (n.d), stylistic, Translated by munther ayashi, 1st, Syria: center for cultural development. (In English)
- Hassan, Abdul Nasser; Shaaban, Mohamed. (2002). Reception Theory between Jauss and Iser. Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya. (In Arabic)
- Holub, R. (2000). Reception theory. Translated by Izzedin Ismaeel. Cairo: academic book shop. (In English)
- Iser, Wolfgang. (1987). The Act of Reading: A Theory of Aesthetic Response in Literature. Fes: Horizon Press. (In English)

- Iser, Wolfgang. (2006). The Implied Reader (Patterns of Communication in the Novel from Binyan to Beckett). Translated by Hanaa Khalif Ghani Al-Daini. First Edition. Baghdad: General Cultural Affairs House. (In English)
- Iser, Wolfgang. (2010). Who Speaks in the Novel (The Poetics of the Narrated). Translated by Adnan Mahmoud Muhammad. First Edition. Damascus: Publications of the Syrian General Authority for Books. (In English)
- Ismaili Alawi, Hafiz. (1999). An Introduction to Reception Theory, Journal of Signs in Criticism. Vol. 34, No. 10. (In Arabic)
- Mirzaei, F. et al (2020), Outburst of a Questioning Style in the Novel 'The Second War of the Dog' by Ibrahim Nasrallah (An Aesthetic Review), Journal of Research in Arabic Language, vol 14, No 26.(In Arabic)
- Mohamed Abdel Hamid Ahmed, A. (2023), The implicit reader in the poetry of lamentation for cities and kingdoms (The Arab Discourse of Conscience). The Journal of the Faculty of Arabic Language in Menoufia. Number38.(In Arabic)
- Mohammad Abas, J; Mohammad Abid, A. (2020), Embodied Reader in AL- Tawaba` Wa AL- Zawaba`by Ibn Shaheed AL-Andalusi, Dirasat Human and Social Sciences, vol 47, Number 2.(In Arabic)
- Rahim, Saad Mohammed. (2017). The Murder of the Book Seller. Second Edition. Baghdad: Dar Suttur for Publishing and Distribution.(In Arabic)
- Rahim, Saad Mohammed. (2017). The Twilight of the Cranes. Second Edition. Baghdad: Dar Suttur for Publishing and Distribution.(In Arabic)
- Sahloul, Hassan Mustafa. (1995). The Problem of Reading and Interpretation in Literary Texts, Syria: Ministry of Culture.(In Arabic)
- Sartre, Jean-Paul. (2005). What is Literature? Translated by Mohamed Ghanimi Hilal. Egypt: Dar Al-Nahda for Printing and Publishing. (In English)
- Selden, Raman. (1998). Contemporary Literary Theory. Translated by Jaber Asfour. Cairo: Dar Quba for Printing and Publishing. (In English)
- Sharafi, Abdul Karim. (2007). From Philosophies of Interpretation to Theories of Reading. First Edition. Algeria: Publications of Al-Ikhtilaf.(In Arabic)
- Sharshar, A. Analysis of Literary Discourse and Textual Issues. Oran: Publications of Dar Al-Quds Al-Arabi.(In Arabic)
- Wahba, W. Dictionary of Literary Terms. Beirut: Lebanon Library.(In Arabic)
- Mazari, SH. Aesthetics of Reception in the Holy Quran. Damascus: Publications of the Arab Writers Union. (In Arabic)
- Zaki Mubarak, k. (1998). Ahmad Shoghi. First Edition. Beirut: Dar al-jill.(In Arabic)